السياحة والبيئة

تعتبر السياحة من أكثر الصناعات نمواً في العالم، فقد أصبحت اليوم من أهم القطاعات في التجارة الدولية، حيث أن السياحة من منظور **اقتصادي** هي قطاع إنتاجي يلعب دوراً مهماً في زيادة الدخل القومي، ومصدراً للعملات الصعبة، وفرصة لتشغيل الأيدي العاملة، وهدفاً لتحقيق برامج التنمية.

ومن منظور **اجتماعي وحضاري**، فإن السياحة هي حركة ديناميكية ترتبط بالجوانب الثقافية والحضارية للإنسان، بمعنى أنها رسالة حضارية وجسر للتواصل بين الثقافات والمعارف الإنسانية للأمم والشعوب، ومحصلة طبيعية لتطور المجتمعات وارتفاع مستوى معيشة الفرد.

وعلى **الصعيد البيئي** تعتبر السياحة عاملاً جاذباً للسياح، ولإشباع رغباتهم من حيث زيارة الأماكن الطبيعية المختلفة، والتعرف على تضاريسها وعلى نباتاتها والحياة الفطرية فيها، بالإضافة إلى زيارة المجتمعات المحلية للتعرف على عاداتها وتقاليدها.

إن الاحتياجات السياحية لا ينبغي أن تلبى بطريقة تلحق الضرر بالمصالح الاجتماعية والاقتصادية لسكان المناطق السياحية، أو بالبيئة، أو بالموارد الطبيعية والمواقع التاريخية والثقافية، التي تعتبر عوامل جذب رئيسية للسياحة.

المكونات الأساسية للسياحة:

تتداخل نشاطات السياحة مع العديد من المجالات، وفي ما يلي المكونات الأساسية للسياحة التي يجب أخذها بعين الاعتبار في أي عملية تخطيط:

- **عوامل وعناصر جذب الزوار:** تتضمن العناصر الطبيعية مثل المناخ والتضاريس والشواطئ والبحار والأنهار والغابات والمحميات، والعوامل البشرية مثل المواقع التاريخية والحضارية والأثرية والدينية ومدن الملاهي والألعاب.
- **مرافق وخدمات الإيواء والضيافة:** مثل الفنادق والنزل وبيوت الضيافة والمطاعم والاستراحات.
- **خدمات النقل:** تشمل وسائل النقل، على اختلاف أنواعها إلى المنطقة السياحية.
- **خدمات البنية التحتية:** تشمل توفير المياه الصالحة للشرب، والطاقة الكهربائية، والتخلص من المياه العادمة والفضلات الصلبة، وتوفير شبكة من الطرق والاتصالات.
- **عناصر مؤسسية:** تتضمن خطط التسويق وبرامج الترويج للسياحة، مثل سن التشريعات والقوانين والهياكل التنظيمية العامة، ودوافع جذب الاستثمار في القطاع السياحي، وبرامج تعليم وتدريب الموظفين في القطاع السياحي.

- **خدمات مختلفة:** مثل مراكز المعلومات السياحية ووكالات السياحة و السفر، ومراكز صناعة وبيع الحرف اليدوية والبنوك والمراكز الطبية والبريد والشرطة والأدلاء السياحيين.

السياحة والبيئة :

تعتمد مواقع السياحة الأكثر نجاحاً في الوقت الحاضر على المحيط المادي النظيف، والبيئات المحمية والأنماط الثقافية المميزة للمجتمعات المحلية. أما المناطق التي لا تقدم هذه المميزات فتعاني من تناقص في الأعداد ونوعية السياح، وهو ما يؤدي بالتالي إلى تناقص الفوائد الاقتصادية للمجتمعات المحلية .

ومن الجائز أن تكون السياحة عاملاً بارزاً في حماية البيئة عندما يتم تكييفها مع البيئة المحلية، والمجتمع المحلي، وذلك من خلال التخطيط والإدارة السليمة. ويتوفر هذا عند وجود بيئة ذات جمال طبيعي وتضاريس مثيرة للاهتمام، وحياة نباتية برية وافرة وهواء نقي وماء نظيف، مما يساعد على إجتذاب السياح.

يتساوى كل من التخطيط والتنمية السياحية في الأهمية من أجل حماية التراث الثقافي لمنطقة ما. وتشكل المناطق الأثرية والتاريخية، وتصاميم العمارة المميزة وأساليب الرقص الشعبي، والموسيقي، والدراما والفنون والحرف التقليدية والملابس الشعبية والعادات والتقاليد وثقافة وتراث المنطقة أهم العوامل المرتبطة بالبيئية والتي تجذب الزوار، خاصة إذا كانت على شكل محمية يرتادها السياح بإنتظام، فتتعزز مكانتها أو تبقى ذات أهمية أقل، وذلك يرجع لطريقة التي يتم بها تنمية السياحة وإدارتها.

تنطوي السياحة علي إبراز المعالم الجمالية لأي بيئة في العالم، فكلما كانت نظيفة وصحية كلما ازدهرت السياحة وانتعشت. وقد يبدو أن السياحة هي إحدى المصادر للمحافظة على البيئة، وأنها لا تسبب الإزعاج، أي ليست مصدراً من مصادر التلوث، لكنه على العكس، فالبرغم من الجوانب الإيجابية للسياحة فهي تشكل مصدراً رئيسياً من مصادر التلوث في البيئة والتي تكون من صنع الإنسان أيضاً، فلابد من تحقيق التوازن بين السياحة والبيئة من ناحية، وبينها وبين المصالح الاقتصادية والاجتماعية التي هي في الأساس تقوم عليها.

وفيما يلي بعض مصادر الآثار السلبية للسياحة:

- ✓ الزيادة المقررة في أعداد السياح، تمثل عبئاً على مرافق الدول من وسائل النقل، الفنادق، كافة الخدمات من كهرباء ومياه.
- ✓ إحداث تلف ببعض الآثار لعدم وجود ضوابط أو تعامل السياح معها بشكل غير لائق.
- ✓ ممارسة السياح لبعض الرياضات البحرية قد يؤدي إلى الإضرار بالأحياء البحرية من الأسماك النادرة، والشعب المرجانية، مما يسبب نقص الحركة السياحية في المناطق التي لحق بها الضرر.
- ✓ زيادة تلوث مياه البحر وخاصة البحر المتوسط، نتيجة التخلص من مياه الملوثة فيها.
- ✓ ازدياد تلوث الغلاف الجوي نتيجة نشاطات المرافق السياحية المختلفة.
- ✓ انتشار القمامة والفضلات فوق القمم الجبلية، حيث تمثل الجبال مناطق جذب سياحي من الدرجة الأولى فتمارس عليها الرياضة السياحية من تسلق ومشي وغيرها.

من المهم إدراك أن السائح ليس وحده المسؤول عن تخريب البيئة وإتلاف المناطق الأثرية أو السياحية، حيث أن هناك مصادر طبيعية للتخريب مثل: الكوارث الطبيعية (الاهتزازات والزلازل – الأمطار والسيول– العواصف والرياح–الانهيارات الجليدية والبركانية)، وكذلك قد يساهم السكان الأصليون لهذه المناطق في هذا التخريب من خلال مثلاً:

1–التلوث بأنواعه

2– الانفجارات النووية

3– الزحف العمراني

4– وسائل صرف صحي غير متقدمة

5– تزايد عدد السكان.

وقد ظهر مفهوم السياحة البيئية للحد من الممارسات السياحية السلبية التي تلحق الضرر بالنظام البيئي، ولخلق تفاعل ايجابي بين الجانبين السياحي والبيئي.

مدخل إلى السياحة البيئية

تعريف السياحة البيئية:

ظهر مصطلح السياحة البيئية ECO–TOURISM منذ مطلع الثمانينات من القرن العشرين، وهو مصطلح حديث نسبياً، جاء ليعبر عن نوع جديد من النشاط السياحي الصديق للبيئة الذي يمارسه الإنسان محافظاً على الميراث الفطري الطبيعي والحضاري للبيئة التي يعيش فيها.

والسياحة البيئية نوع من الترفيه والترويح عن النفس يوضح العلاقة التي تربط السياحة بالبيئة، أو بمعنى آخر يقوم على توظيف البيئة من حولنا لكي تمثل نمطاً من أنماط السياحة التي يلجأ إليها الفرد للاستمتاع، فالسياحة البيئية ما هي إلا التمتع بكل شيء طبيعي يوجد من حولنا في البيئة البرية والبحرية.

وجاء مصطلح السياحة البيئية نتيجة تزايد ضغط السياحة على البيئة، وزيادة اهتمام السياح بالتنوع الحيوي، ومن جانب آخر تخريب وتدمير العديد من النظم البيئية وتهديد الحياة الفطرية، ولذلك بدأت تتعالى الأصوات بضرورة اهتمام السياحة بالأمور البيئية.

توجد عدة تعاريف للسياحة البيئية، منها:

تعريف1: هي "ترحال مسؤول للمناطق الطبيعية لفهم الثقافات والتاريخ الطبيعي للبيئة مع الحفاظ على تكامل النظم البيئية وإنتاج فرص اقتصادية تجعل المحافظة على المصادر الطبيعية ذات فائدة مستدامة للسكان المحليين".

تعريف2: حسب تعريف الصندوق العالمي للبيئة " هي السفر إلى مناطق طبيعية لم يلحق بها التلوث ولم يتعرض توازنها الطبيعي إلى الخلل، وذلك للاستمتاع بمناظرها ونباتاتها وحيواناتها البرية وحضاراتها ماضياً وحاضراً ".

تعريف 3: حسب قانون الحراج السوري"هي سياحة التمتع الملتزم بالطبيعة ومكوناتها، وهي تتم دون الإخلال بالنظم البيئية ودون أي تأثير سلبي على البيئة".

مر مفهوم السياحة البيئية بثلاث مراحل هي:

المرحلة الأولى: مرحلة **حماية السائح من التلوث:** من خلال توجيهه للمناطق التي لا تحتوي على تهديد له، أو تعرضه لأخطار التلوث خاصة في المناطق البعيدة عن العمران، إلا أن هذه المرحلة، رافقها أخطار هددت البيئة نفسها نتيجة لبعض **السلبيات التي مارسها السائح والشركات السياحية** مما أدى لفقدان المناطق الطبيعية صلاحيتها وتهديد الأحياء الطبيعية فيها.

المرحلة الثانية: مرحلة وقف الهدر البيئي: من خلال استخدام سياحة وأنشطة سياحية **لا تسبب أي هدر، أو تلوث** وبالتالي تحافظ على ما هو قائم وموجود في الموقع البيئي.

المرحلة الثالثة: مرحلة التعامل مع أوضاع البيئة القائمة: من خلال **إصلاح الهدر البيئي ومعالجة التلوث** البيئي وإصلاح ما سبق أن قام الإنسان بإفساده وإرجاع الأوضاع لما كانت عليه أو معالجة الاختلالات البيئية لتصبح أفضل وأحسن.

ومن خلال ذلك يمكن الوقوف على مفهوم شامل للسياحة البيئة يمكن تحديد أهم عناصره في النقاط التالية:

1. السياحة البيئية نشاط إنساني يمارسه البشر وفق قواعد وضوابط تحمي وتصون الحياة الفطرية الطبيعية وترتقي بجودتها وتحول دون تلوثها وتعمل على المحافظة عليها للأجيال الحالية والقادمة.
2. السياحة البيئية تحافظ على النوع وتحمي الكائنات من الانقراض، وتعيد للإنسان إنسانيته في حماية الحياة البرية وصيانتها وزيادة عناصر الجمال الطبيعي فيها.
3. السياحة البيئية نشاط له عائد ومردود اقتصادي متعدد الجوانب تجمع بين الجانب المادي الملموس والجانب المعنوي الأخلاقي المؤثر، والمبادئ والقيم الحميدة، حيث تتحول المحافظة على سلامة البيئة بفعل هذه القيم إلى مبادئ سامية.
4. السياحة البيئية نشاط يجمع بين الأصالة في الموروث الحضاري الطبيعي، والحداثة في تحضرها الأخلاقي والقيمي حيث تجمع بين القديم والحديث مما يخلق نمطاً رائعاً من التجانس والتوافق.
5. السياحة البيئية التزام أخلاقي وأدبي أكثر منها التزام قانوني تعاقدي أو تعهدي ومن ثم فإن تأثير القيم والمبادئ سوف تحكم هذا النوع من السياحة.

ومما سبق يتضح أن السياحة البيئية تبادلية الأثر وفعّالة التأثير، فهي سياحة غنية كثيفة العائد والمردود، وهي سياحة متداخلة ومتشابكة بينها وبين كافة الأنشطة التي يمارسها الإنسان، إلا أنها تتفوق عليها بأنه لا ينجم عنها أي تلوث للبيئة ، بل هي محسنة للبيئة من خلال محافظتها على سلامتها ونظارتها وجمالها.

متطلبات السياحة البيئية:

ترتكز السياحة البيئية على الموارد الطبيعية أساساً، من صحراء وغابات وبحيرات وجبال وأحياء نباتية وحيوانية، وقد أخذ مفهوم السياحة البيئية أبعاداً جديدة في العمل السياحي، من حيث التنوع واختلاف وسائل التسويق لهذا النوع

من أنواع السياحة حيث بدأ يظهر بالإضافة إلى وجود المحميات الطبيعية (نباتية وحيوانية) ما يعرف بالمنتجعات البيئية، والتي انتشرت بأنواعها المختلفة فمنها الصحراوية ومنها البحرية ومنها التي تكون عائمة على بحيرات .
إن الصفات الأساسية لتكوين عناصر السياحة البيئية تظهر في الشواطئ النظيفة والماء وأماكن الجذب الطبيعية غير الملوثة، والبيئة الهادئة المحمية، والطرق البيئية في توليد الطاقة وتجنب الاستهلاك غير الرشيد للموارد الطبيعية والبنى التحتية السليمة بيئياً.

مكوّنات السياحة البيئية:

1. العوامل الطبيعية الإيكولوجية:

تضم العناصر والأنظمة الحيوية، وتلك التي تقدّمها الطبيعة كليّاً، مثل سطح الأرض وما عليه من جبال ووديان وغابات ومغاور وأنهار ومحميات وصحارى، وأنواع المشاهدات والخبرات الواسعة المتضمنة فيها، أو التي عمل عليها الإنسان مثل الحدائق والمنتزهات.

2. العوامل المناخية:

تضم الفصول المناخية وما تقدّمه من عناصر وإمكانات وتحوّلات في الصيف أو الشتاء، في الربيع أو الخريف، وبحيث تتحوّل هذه العناصر إلى مكوّنات سياحية كبرى، من مشاهدة الغروب على شاطئ البحر أو ممارسة التزلج على الثلج في الجبال العالية، أو السهر مع النجوم في الصحراء بعيدًا عن كل إنارة.

3. العوامل البيولوجية:

الثروات النباتية المتنوعة، من أزهار، وأشجار، ونباتات، ومياه معدنية، إلى الثروة الحيوانية والسمكية، من طيور وأسماك وكائنات بحرية وبرية مختلفة.

فوائد السياحة البيئية:

للسياحة البيئية فوائد جمة لا تقتصر على البيئة بل تتعداها إلى الاقتصاد والثقافة وحقوق الإنسان ومنها:

1. تخفيف الضغط الواقع على الأنظمة البيئية في الأماكن السياحية بما يضمن استدامة الموارد الطبيعية.
2. تعمل على الحفاظ على الموروث الثقافي والحضاري للسكان المحليين والحفاظ على القيم الإنسانية والديمقراطية للشعوب.
3. تزيد من فرص العمل لسكان المناطق الريفية وخاصة للعمالة غير المدربة والتي قد تجد في نقل السائح وأمتعته على الدواب عبر الأماكن السياحية مصدراً مهما للدخل.
4. تشجع تطوير تلك المناطق بطريقة تحافظ على مقوماتها الريفية الجميلة، وتمنع الشركات السياحية العملاقة من إقامة المنشآت السياحية الضخمة، فالسياحة البيئية تقوم على المنتجعات الصغيرة والفنادق الصغيرة أو النزل الريفي المتواضع، وليس على الفنادق الضخمة ذات المستوى الراقي، وهذا يعني توزيع الدخل السياحي على شريحة اكبر من السكان وعدم حصره بأيدي بعض المستثمرين الكبار.
5. تساهم السياحة البيئية في تطور الاقتصاد الأخضر القائم على حماية البيئية واستدامة الموارد .

6. تزيد من فرص نمو التعليم البيئي في الدول النامية التي تعاني من معدلات عالية من التلوث نتيجة غياب تقنيات معالجة النفايات الصلبة والسائلة، وعدم تطبيق قوانين صارمة للحفاظ على البيئة والموارد.
7. تساهم في الحفاظ على المناطق الأثرية من التدهور بفعل الممارسات الخاطئة لبعض السائحين والتي تؤدي إلى حرمان العالم من موروث ثقافي مهم.

قواعد السياحة البيئية:

نظراً لأن السياحة البيئية كانت مجرد فكرة وليس منهجاً لدى أصحاب المشاريع السياحية أو الحكومات، فقد كان يروج لها بدون معرفة قواعدها ومنهجها، واليوم غدت السياحة البيئية منهجاً يجب الأخذ به لا شعارات تطرح، ولا بد أن يعي المستثمر السياحي والحكومات جدوى تطبيق منهج السياحة البيئية وفهمه، ووضع القوانين والأنظمة التي تنظم العملية السياحية المرتبطة بها. وتتضمن قواعد السياحة البيئية مايلي :

1. تقليل الآثار السلبية للسياحة على الموارد الطبيعية والثقافية والاجتماعية في المناطق السياحية.
2. تثقيف السياح بأهمية المحافظة على المناطق الطبيعية.
3. التأكيد على أهمية الاستثمار المسؤول، والذي يركز على التعاون مع السلطات المحلية من أجل تلبية احتياجات السكان المحليين والمحافظة على عاداتهم وتقاليدهم.
4. إجراء البحوث الاجتماعية والبيئية في المناطق السياحية والبيئية لتقليل الآثار السلبية.
5. العمل على مضاعفة الجهود لتحقيق أعلى مردود مادي للبلد المضيف من خلال استخدام الموارد المحلية الطبيعية والإمكانيات البشرية.
6. أن يسير التطور السياحي جنباً إلى جنباً مع التطور الاجتماعي والبيئي، بمعنى أن تتزامن التطورات في كافة المجالات لكي لا يشعر المجتمع بتغيير مفاجئ.

الاعتماد على البنية التحتية التي تنسجم مع ظروف البيئة ، وتقليل استخدام الأشجار في التدفئة، والمحافظة على الحياة الفطرية والثقافية.

****

د.هبه سلهب